اللغة العربية بين الأصالة و الإعجاز والحداثة
(دراسة تحليلية كلامية)

Amin Nasir
STAIN Kudus, Indonesia
aminnasir@stainkudus.ac.id

الملخص

إن اللغة ظاهرة صوتية تختلف اختلافاً كلياً عن سائر الرموز الأخرى غير اللغوية، ومن ثم فإن دراستها دراسة علمية تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميزة تنتج عنها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة. وتجدر الإشارة إلى أن ما نود الحديث عنه في هذا السياق هو القيمة الدلالية للصوت أي الفونيم)، على أساس أن الفونيمات تلعب دوراً فعالاً في تحديد دلالات الكلمات.

والفونيم كما يعرفه بعض اللغويين هوصوت نموذجي يحاول المتكلم تقليده. كما يعرفه بعضهم بأنه أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني. والفونيم نوعان: قطعي Segmental، وفوقطعي Suprasgmental. ويشمل النوع الأول الصوامت والصوائت، وأما النوع الثاني فيشمل النبرات والأنغام والفواصل

ولابد لنا من الوقوف على ما جاء في المحكم من جمع اللغة جمعاً مؤنثاً، وجمعاً ملحقاً بالجمع المذكر السالم، على غير ما هو معروف في شروطه، ولعل اللغويين كانوا يعتقدون أن هذا الحمل مقبولاً، ذلك لأن اللغة خاصة بالعقلاء، وعلى هذا حملت هذا المحمل، لأن الإنسان هو الحي الناطق بين الكائنات جميعاً، وهو وحده المتميز باللغة المنطوقة، ذات المغزى والدلالة. وتطورت لفظة اللغة، واشتُقت منها اشتقاقات مختلفة بحكم طبيعتها التوليدية والحركية والذاتية

الكلمات الأساسية: اللغة العربية, الأصالة, و الإعجاز, والحداثة

Abstrak

Fenomena bahasa terdengar sama sekali berbeda dari semua simbol non-linguistik lain, penelitian memerlukan studi ilmiah untuk memulai pengambilan sample. suara yg berbeda menghasilkan ribuan konotasi yang berbeda dari kata-kata. Perlu dicatat bahwa apa yang kita ucapkan tentang kalimat dalam konteks ini adalah suara yg mempunyai nilai makna dari setiap fonim, dengan alasan bahwa fonem berperan aktif dalam mendefinisikan semantik yang terdiri dari kata kata dan gaya bahasa.

Beberapa ahli bahasa sedang mencoba untuk menirunya. Beberapa dari mereka juga tahu bahwa suara unik terkecil dapat membedakan makna. fonim dua jenis: definitif Segmental, dan Vouktaa Suprasgmental. Jenis pertama meliputi konsonan dan vokal, dan jenis kedua mencakup nada dan melodi dan interval.

Kita harus tahu bahasa merupakan arbiter dari koleksi rumusan bahasa meliputi feminin, kolektif yang melekat pada kombinasi Maskulin, begitu juga yang dikenal dalam kondisi tertentu, dan mungkin ahli bahasa mereka berpikir bahwa problem ini dapat diterima, karena bahasa khusus melahirkan maksud yang dituju, karena manusia adalah juru bicara yang hidup di antara semua makhluk, dengan bahasa sendiri yang khas lisan, bermakna dan signifikan. Kata berevolusi menjadi bahasa, berasal dengan derivasi yang berbeda sebab karakter dan makna kerja dan benda itu sendiri.

Kata kunci: bahasa arab, tradisi, modernitas, mukjizat.

أ. مقدمة

أما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذون عليها. وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره. من ذلك قولهم: خضم، وقضم، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضح أقوى من النضح، قال الله سبحانه: فيهما عينان نضاختان). فجعلوا الحاء–لرقتها– للماء الضعيف، والخاء–لغلظها– لما هو أقوى منه) أبرز ما يلاحظ أن الاهتمام باللغة العربية بدا واضحاً كل الوضوح في المؤسسات العلمية والثقافية والأكاديمية. بله المقالات المنشورة في المجالات الفكرية والثقافية في عالمنا العربي. بيد أن تساءلت منذ البدء عن البواعث الكامنة راء الاهتمام بالعامية لدى بعض المفكرين، ومما استرعى انتباهي أن الأمم الأخرى لا تهتم باللهجات الدارجة في الحديث والحوار، ولا تعطيها مثل ما نعطيها من أهمية. وإنما نرى تقدس اللغة الوطنية على

اختلاف المذاهب والاتجاهات. فالمعروف عن الكاتب الفرنسي الكبير أناتول فرانس أنه كان ذا فكر تقدمي، وأن الكاتب والناقد الفرنسي المشهور موريس باريس كان من أنصار الكثلكة، فلما سألوه (1): "أفلا ترى مبادئ أناتول فرانس وغلوه في الإشتراكية..؟" أجابهم: "قولوا فيه من هذه الجهة ما شئتم، إلا أنه حفظ اللغة". إن حفظ اللغة هو الأصل في كل العصور، وعند كل الأمم، وهذا هو هدف كل مفكر وأديب وناقد، مهما اختلفت الآراء وتباينت المذاهب، ذلك لأن اللغة تمثل الفكر القومي في حقيقة الأمة، وحفظ لغتها، إنما هو التقديس لتراثها، ومن المأثور قول الرسول الكريم (2): "أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي".

قد نتساءل عن سبب التسمية بلغة الضاد، فهل كان نسبة إلى حرف الضاد الذي يستثقل الأعاجم لفظه مفخماً، أم أن ذلك يرجع إلى لفظ مُضر، وأبرز ما في هذا اللفظ توسط الضاد، وهي أحد الحرف التسعة عشر المجهورة، والمعروف أن ثلاثة منها حيز واحد، وهي الجيم، والشين، والضاد، وهذه الحروف الثلاثة هي الحروف الشجرية.

كان لابد لي من العودة إلى نقطة البدء في ماضي اللغة العربية، وذلك لمعرفة ما طرأ عليها من الانحراف واللحن والتطور، وهذا يتطلب منا الوقوف عند التعريف اللغوي والتطور الاصطلاحي.

يقول صاحب اللسان ابن منظور " اللغة اللسن، وحدَّها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي (فُعلةٌ) من (لغوت) أي تكلمت، أصلها (لُغوة). وقيل أصلها (لُغي) أو (لُغو)، والهاء عوض، وجمعها (لُغىً). وفي المحكم: الجمع (لغات) و(لُغون)... والنسبة إليها (لُغويّ)، ولا تقل: (لَغويٌ)..".

ولابد لنا من الوقوف على ما جاء في المحكم من جمع اللغة جمعاً مؤنثاً، وجمعاً ملحقاً بالجمع المذكر السالم، على غير ما هو معروف في شروطه، ولعل اللغويين كانوا يعتقدون أن هذا الحمل مقبولاً، ذلك لأن اللغة خاصة بالعقلاء، وعلى هذا حملت هذا المحمل، لأن الإنسان هو الحي الناطق بين الكائنات جميعاً، وهو وحده المتميز باللغة المنطوقة، ذات المغزى والدلالة.

وتطورت لفظة اللغة، واشتُقت منها اشتقاقات مختلفة بحكم طبيعتها التوليدية والحركية والذاتية، فقد نُقل عن أبي سعيد قوله (4): "إذ ت أن تنتفع بالأعراب فاستلغهم، أي أسمع من لغاتهم من غير مسألة".

كما فرَّق بين الصوت والنغم في لغو الطائر، فيقال: "سمعت لغو الطائر ولحنه" أي صوته ونغمه، وفي هذا التفريق دقة اللغة في تحديد هذا المفهوم. ومن المأثور اللغوي قول العرب: "اسمع لغواهم، ولا تخف طغواهم" أي طغيانهم ولو رجعنا إلى القرآن لوجدنا أن لفظ اللغة لم يستخدم في هذا المعنى الاصطلاحي، وإنما استخدم بمعنى (اللغو)، وهو ما لا يُعتد به من كلام وغيره، كما وردت بمعنى الإثم في الحلف والإيمان، أو هو ما لا يعقد عليه القلب. أما اللفظ المأثور المعتمد في القرآن فهو (اللسان) إذ وردت خمس عشرة مرة مفردة، منها ثلاث مرات نصت فيها على ذكر اللسان منعوتاً بأنه عربي:
في قوله (5): "وهذا لسان عربي مبين"، وقوله (6): "لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" وقوله (7): وهذا كتاب مصدِّق لساناً عربياً". والملاحظ أن لفظ النعت بـ (العربي) اقترن بالنعت الثاني (المبين) في مرتين.

ب. البحث

1. أفصح اللغات العربية

إن الذي أقف عنده بعد هذا المطاف اللغوي هو رأي اللغويين العرب في أهمية اللغة العربية، وإيمانهم أنها أفصح اللغات كلها: أصلاً، ومفهوماً، واصطلاحاً، وتقويماً لها بالمقارنة مع سائر اللغات الأخرى في العالم، فلا عجب إن رأينا الزمخشري يعد "لغة العرب أفصح اللغات، وبلاغتها أتم البلاغات" كما أبرز ابن خلدون أهمية اللغة العربية بقوله (9): تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات... فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة من جميع الألسن". وليس من العبث اللفظي قوله (10): "وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني"، وقوله (11): "ولا يوجد ذلك إلا في لغة العرب". فلا نستغرب بعد هذا كله إن رأينا العتابي، وهو أبلغ من عرفتم العربية فصاحة وبياناً يقول معرضاً بالعجم: "اللغة لنا والمعاني لهم"، فاللغة تتضمن حكماً المعاني التي تعبر عنها، والهدف من هذا القول أن اقتصار الأعاجم على المعاني إنما هو إشارة إلى أن اللغات الأخرى لا يمتلك فصاحة التعبير اللغوي الذي يمتلكه العربي، فالمعاني مطروحة على الطريق، كما يقول الجاحظ، وإنما العبقرية في الأسلوب اللغوي المتبع.

ومنهم الأرسوزي الذي رأى في العربية عبقرية الأمة، فقال (13): "إن لغتنا التي هي أبلغ مظهر لتجلي عبقرية أمتنا، هي مستودع لتراثنا". فعلام اعتمد هؤلاء اللغويون القدماء والمحدثون في تفضيل اللغة العربية على لغات العالم: فصاحة، وأصالة، وعبقرية؟؛ وهل كانوا مطلعين على اللغات العالمية ليقرروا مثل هذا الحكم في قدسية العربية وتفردها بالإعجاز والاتساع؟ في العودة إلى الجاهلية الأولى ما يوضح لنا الإجابة عن التساؤل السابق، فمن المعروف أن الفصاحة مختلفة بين القبائل قبل الإسلام، فهناك لغة العالية، والمقصود باللغة هنا اللهجة، وهي لغة قريش، وهي التي تعد أفضل اللهجات، وتقاس فصاحة كل لهجة بمقدار بعدها عن اللغات المجاورة للأمم الأخرى، من الرومية والفارسية والحبشية وغيرها.

أطوار ثلاثة يتضح أن العربية مرت في ثلاثة أطوار: طور الأصالة التراثية، وطور الوحدة والإعجاز، وطور التوليد والحداثة. ويتمثل الطور الأول في مرحلتين: أولاهما مرحلة التكوين، وثانيتهما مرحلة التوحيد. ففي المرحلة التكوينية هذا الفيض من التراث اللغوي والثراء التعبيري، وكانت الجاهلية الجهلاء الأولى، وصراع اللهجات العربية بين القبائل في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وشرقها وغربها، والارتحال المتبادل بين هذه القبائل طلباً للمرعى وألكلأ، أو طلباً للتجارة في رحلة الشتاء والصيف، ذخيرة التراث اللغوي الجاهلي وجوهر الأصالة اللغوية.

"لقد كانت القبائل العربية مادة هذه اللغة، وسبب اتساعها واستفاضتها، وكان فحول الشعراء من الجاهلية كأن كل واحد منهم قبيلة في التفنن والإبداع: مجازاً، واستعارة، وبديعاً. ثم جاء القرآن الكريم فكان الغاية كلها، ثم تتابع الشعراء، والكتَّاب، والأدباء، فمن لم يزد منهم على الموجود لم ينقص منه".

إن هذا التباين بين لهجات القبائل قبل الإسلام واستمراره حتى بدء الدعوة، هما من شواهد الأصالة التراثية، والعجيب حقاً أن نرى العربي القرشي يفقه سائر لهجات القبائل العربية الأخرى، بحكم عمله التجاري، وقد يجهل بعضهم من غير قريش اللهجات الأخرى. روي عن الرسول الكريم أنه قال لأبي تميمة الهجيمي: "إياك والمخيلة!، فقال: يا رسول الله، نحن قوم عرب، فما المخيلة؟ فقال، عليه الصلاة والسلام: "سبل الأزار"، كما قال له علي (ر) وقد سمعه يخاطب وفد بني فهد: "يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفد العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: أدبني ربي فأحسن تأديبي".

فلا تستغرب بعد هذا كله إن رأينا الرسول الكريم يخاطب قبائل العرب بلهجاتهم الخاصة بهم.

هذان النصان السابقان يمثلان حال اللغة العربية القديمة في مرحلة الأصالة الأولى، وكان لقبيلة قريش الفضل في التوحيد اللغوي قبل الإسلام، لكن ذلك لم يتم بسرعة.

والمؤكد لنا أن العامل التجاري كان الأصل، فذلك لأن قبيلة قريش كانت تعمل في التجارة، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، بله لفظ قريش المشتق من التقريش، ومن أبرز معانيها التجارة، ولتجمعهم إلى الحرم، أو لأنهم كانوا يتقرشون البيَّاعات فيشترونها..." (44). وذكر أنها سميت بذلك نسبة إلى "قريش بن مخلد بن غالب بن فهر، وكان صاحب غيرهم، فكانوا يقولون: قدمت عير قريش، وخرجت عير قريش"، والمعروف عن هذه القبيلة المتاجرة أنهم كانوا إذا خرجوا للتجارة علّقوا عليهم المقل (45) ولحاء الشجر حتى يعرفوا، فلا يقتلهم أو يتعرض لهم أحد. فلا نستغرب إن رأينا الرسول القرشي يعرف لهجات العرب ويخاطب كل قبيلة بلهجتها الخاصة بها.

كما تحدث المستشرق الألماني شبيتالر عن العربية الفصحى وعلاقتها باللهجات القبلية المختلفة، وقدرتها على استيعابها وتمثلها واحتفاظها بما تستسيغه من أساليب وتستحسنه من ألفاظها، ومما قاله (47):

"وهذه اللغة الفصحى تعد ـ كما يقول (بريتوريوس Pratorius) لغة فنية خالصة، وتعلو بما لها من طبيعة مميزة على كل اللهجات، غير أنها إذ تجري على ألسنة المتحدثين بهذه اللهجات، فإنها لم تخل من تأثير تلك اللهجات فيها باستمرار، ولعلها اختلفت من جهة إلى أخرى تبعاً لذلك، غير أن الجهود المنظمة، والعاملة على طرد القاعدة للغويين المتأخرين استطاعت طمس هذه الاختلافات طمساً تاماً".

وإطراد القاعدة هنا إشارة هامة إلى مذهب اللغويين والنحاة المتأخرين، ذلك أنهم آثروا اختيار الوجوه الشائعة الأصيلة في اللغة كما عرفتها العربية في عصر أصالتها من خلال شواهدها الشعرية والقرآنية وخطبها الجاهلية المسجعة..، وقد أشار المستشرق شبيتالر إلى هذه الحقيقة معتمداً على ما أورده الباقلاني في كتابه المعروف بـ (إعجاز القرآن)، ومما قاله (48).

"أما هذه العربية نفسها، فهي تلك القديمة الحقيقية التي تعود إلى ما قبل التاريخ، والتي ترفعت عن لهجات الخطاب منذ زمن، ورويت لنا كابراً عن كابر، في نصوص محددة تماماً هي تلك اللغة التي يمكن أن تعرّف بقول الباقلاني: أشعار أهل الجاهلية، وكلام الفصحاء والحكماء من العرب، كلام الكهان وأهل الرجز والسجع وغير ذلك من أنواع بلاغتهم وصنوف فصاحتهم".

كما تحدث الأرسوزي عن نشأة اللغة من الطبيعة الخارجية وعلاقتها بالأمة، فقال (49):

"إن اللسان العربي، وهو بدائي وعضوي البنيان، يكشف عن صورة الأمة التي أنشأته، ويهدينا إلى شمول الوصفية كافة مظاهرها، إذ كان العرب في جاهليتهم يسمون تقسيمات الزمان بحالات المكان الملتبسة فيها، وبتجليات أمتهم التي يترافق ظهورها تاريخياً معها، فأطلقوا على أيام الأسبوع أسماء: (أول)، (أهون)، (جبار)، (ديَّار)، (مؤنس)، (عروبة)، (تيار) (50)... وكانوا يطلقون في ذلك العهد على شهور السنة الأسماء الآتية: (مؤتمر)، (ناجر)، (خوَّان)، (صوّان)، (ربِّي)، (أثدة)، (عادل)، (ناطل)، (واغل)، (ورنة)، (يوك)."

نلص، بعد استعراضه طائفة أخرى من الألفاظ، إلى أن المجتمع العربي انحدر في اتجاه تلك الشعوب المتجمدة، واستبدل هذه الأسماء بأخرى دخيلة على الذوق العربي، وهي السبت والأحد والاثنين..".

يتضح مما تقدم معنا أن التقريش المضري، والقرشية الجاهلية كانا من أهم العوامل في حركة التوحيد اللغوي التلقائي قبل الإسلام، فاكتملت مرحلة الأصالة التراثية، وبدأت بواكير مرحلة النضج والإعجاز اللغوي بظهور الإسلام، وكان القرآن المعجزة الكبرى التي حققها اللسان العربي المبين عبر عصوره المديدة، في قمة عطائه الإنساني، ولذلك عده الأرسوزي أسمى المظاهر التي تجلت فيها وجهة نظر الأمة العربية (52).

"وما ذهب إليه الكسائي من ترك الفصل بين الفعل الذي قبله واو أو فاء، وبين ما ليس قبله من ذلك هو الوجه في قياس الرواية. هذا يؤكد أن اللغة العربية كانت تحرص على الأخذ بما تختاره وتجده مستساغاً في قياس العربية، ظاهر الوجه، موثوق الرواية. وكان اعتماد ابن فارس على نظريته في كلام العرب، "فالكلام ثلاثة أضرب: ضرب يشترك فيه العلية والدون، وضرب هو الوحشي، كان طباع قوم، فذهب استعماله بذهابهم، وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الأول، ولا ارتفع ارتفاع الثاني، وهو أحسن الثلاثة في السماع، والذهاب على الأفواه، وأزينها في الخطابة، وأعذبها في القريض، وأدلها على معرفة من يختارها"

وخلص ابن فارس بعد هذا التقسيم الثلاثي لضروب الكلام إلى التحدث عن شرائط الإبداع في الأدب من خلال الاختيار اللغوي، فقال (58): "إن أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتباء السهل من الخطاب، واجتناب الموعر منه، والأنس بأنيسه، والتوحش من وحشيه فهذا زمان ذلك".

واختتم كلامه بقوله: "ولن يتسنم أحد ذروة البلاغة مع التكلف للفظ الغَلِق، والتطلب للخطاب المستغرب".

2. فساد اللسان العربي

تطرق المستشرق يوهان فك إلى ظهور (العربية الدارجة) وحددها في أواخر القرن الثالث الهجري، فقال (59): "وبهذا توطد تماماً الحد الفاصل بين العربية الفصحى التي صارت منذ ذلك العهد لغة العلم والأدب، والعربية المولدة الدارجة، حوالي نهاية القرن الثالث، حتى في الأوساط المثقفة كذلك".

كما عقد المستشرق المذكور فصلاً عن اللحن ومفهومه ومشتقاته، فقال (60): "يتطلب معنى اللحن اللغوي أن يكون الصواب متقدماً عليه، وكلاهما يمكن حصوله وتصوره إذا تجاوز التفكير في اللغة طوات نشأتها الأولى، بيد أن مثل هذا التفكير والتأمل في نشوء اللغة كان بعيداً كل البعد عن عرب البادية قبل الإسلام".

هكذا بدأ اللحن والفساد اللغوي يشيع ويزداد منذ مطلع القرن الرابع الهجري، وتولدت عنه الازدواجية اللغوية، وغدت اللهجات العامية تواجه العربية الفصحى، والملاحظ أنه لم يتيسر لها أن تقف أمامها، لأن اللغة العامية الدارجة لا تمتلك أصالة الفصحى ومقوماتها التراثية العريقة، ومن الطبيعي أن تتراجع أمامها عبر العصور المديدة.

تحدث ابن خلدون عن معنى الفساد في اللسان العربي، فقال (61):"ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقيف، وهذيل، وخزاعة، وبني كنانة، وغطفان وبني أسد وبني تميم. وأما من بعد عنهم من ربيعة، ولخم، وجذام، وغسان، وإياد وقضاعة، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس، والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية..".

هذا النص على غاية من الأهمية، فابن خلدون يعتقد أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها (62)، وخلص بعد ذلك إلى لغة قريش المضرية، ووضعها موضعها من الفصاحة، فكانت لغة العالية عند العرب.

3ـ.إعجاز وخصائص اللغة العربية

يتضح أن العربية ذات خصائص متميزة من القدم والأصالة والاتساع والاشتقاق، ويكفي أن نرجع إلى القسم الثاني من فقه الثعالبي لنجد أنه عقد فصلاً في تبيان خصائص كلام العرب، وبيان أسرار

العربية، ومعرفة مجاري كلامها، وهذا الفصل على غاية من الأهمية لأنه يبرز لنا بشكل تطبيقي مشفوع بالشواهد المأثورة دقائق ما في العربية.

وليس من باب المصادفة أن يكرر قوله مثلاً (63): "العرب تقدم عليها [أي الكناية] توسعاً واقتداراً واختصاراً وثقة بفهم المخاطب"، و"العرب تبتدئ بذكر الشيء"، و"العرب تقول"، و"تقول العرب"، و"العرب تفعل ذلك"، و"للعرب كلام تخص به"، و"في خصائص كلام العرب"، و"من سنن العرب" وقد تكررت إحدى وثلاثين مرة، و"العرب تضيف، و"العرب تسمي" و"العرب تزيد". من ذلك قوله:(64) " وللعرب فعل لا يقوله غيرهم." ويكفي أن نقف عند هذا القول تمثيلاً لما قدمنا لنبرز إيمان العرب بخصائص لغتهم :" تقول.. (عاد فلان شيخاً) وهو لم يكن قط سيخاً وعاد الماء آجناً وهو لم يكن كذلك قال الهذلي:أطعتُ العرِسَ في الشهوات حتى أعادتني أسيفاً عبد غيري

يتضح مما تقدم أن العربية تتميز بوجود خصائص ذاتية في طبيعة بنيتها التكوينية، وقد اصطلح اللغويون على تسمية هذه الخاصة بـ (السنن اللغوي العربي) اعتماداً على ما أورده الثعالبي من الاقتدار والتوسع والاختصار والثقة بفهم المخاطب.

يمكننا بعد أن توضحت لنا هذه النظرية العربية في السنن اللغوي أن نقرأ أنه المعجزة الكبرى في اللسان العربي المبين، ذلك لأنه سر وجود الأمة العربية، وسر خلودها الكبرى في اللسان العربي المبين، وجود الأمة العربية، وسر خلودها الحضاري، وإعجاز القرآن العربي، هو آية الإعجاز الكبرى الكامنة في إعجازها اللغوي.

يقول الإمام على (ر) في خطبة له، (66): "وإن الله، سبحانه، لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره..".

هذا النص لعلي على غاية من الأهمية، ذلك لأنه يبرز لنا المفهوم اللغوي للغة القرآن، وأضاف إلى التعريفات السابقة لدى اللغويين واللسانيين المفهوم الاصطلاحي مقترناً بالمفهوم الذاتي والوجداني والإنساني.

أ. الإعجاز اللغوي

الملاحظ أن تقديس العرب للغتهم إقرار بالمعجزة اللغوية، وهذا الإعجاز سر من أسرارها، والقرآن، بلا ريب، آية هذا الإعجاز، ولو أننا استعرضنا لغات العالم جميعاً، وما طرأ عليها من تطور وتبدل لأدركنا أن

العربية تجاوزت هذه المراحل، بسبب سبقها التكويني والحضاري، حتى استقامت على هذا النمط، لتكون "رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية"

يضاف إلى ذلك أن اللغويين العرب يرون أن الاهتمام باللسان العربي واجب مقدس تحتمه الواجبات القومية والدينية، ذلك أن "من أحب الله أحب رسوله..، ومن أحب النبي العربي، أحب العرب، ومن أحب العربي، أحب اللغة العربية، وعني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها" كما يقول الثعالبي (68).

ولم يقتصر على ما ذكرناه، وإنما أبرز لنا وظائفها مستطرداً ذاكراً أنها "أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار ولم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان، لكفى بهما فضلاً يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره..." (69).

وقرن الأمة باللغة، فقال (70) "والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة".

المنهج اللغوي العربي

إن الملاحظ أنه ما استشرى الفساد اللغوي في اللسان العربي، في أي عصر من عصوره، إلا تصدى فيه ورأب صدعه كبار العلماء والأدباء والمفكرين على اختلاف نزعاتهم، وإصلاح الخلل الطارئ، واللحن الفاشي، وهذا . في اعتقادنا . عام حاسم أسهم بشكله الفعال في حفظ اللغة، كما أنها . بطبيعة الحال . تمتلك التفاعل الذاتي والحركة النبيوية، مما يساعدها على تطورها وتكيفها، وفي هذين الأمرين سر خلودها وبقائها.

أكد هذا المعنى الزمخشري في خطبة أساسه، واستطرد بعد حديثه عن "النبي العربي المفضل باللسان، الذي استخزنه الله الفصاحة، والبيان" فقال (71). "من كانت مطامح نظره، ومطارح فكره الجهات التي توصل إلى تبين مراسم البلغاء، والعثور على مناظم الفصحاء، والمخايرة بين متداولات ألفاظهم، ومتعاورات أقوالهم، والمغايرة بين ما انتقوا منها وانتخلوا، وما انتفوا عنه فلم يتقبلوا، وما استركُّوا واستنزلوا، وما استفضحوا واستجزلوا، والنظر فيما كان الناظر فيه على وجوه الإعجاز أوقفَ، وبأسراره ولطائفه أعرفَ، حتى يكون صدر يقينه أثلج، وسهم احتجاجه أفلج، وحتى يقال: (هو من علم البيان حظيٌّ، وفهمه فيه جاحظيٌّ).."

إن الزمخشري وهو من المولدين المتأخرين، كان صاحب نظر لغوي ثاقب، فلم يمنعه تأخره الزمني عن إدراك الحاجة إلى تدبر اللغة، وضرورة الانتقال من التراث المأثور إلى الاصطلاحات المستجدة، وإقامة الربط بين الحقيقة والمجاز، والطبيعة والبلاغة، والأصالة والإعجاز، فقدم بذلك عملاً لغوياً جباراً، وقد أبرز أهمية عمله اللغوي بقوله (72):

"وهو كتاب فُلِيَت (73) له العربية، وما فصح من لغاتها، وملح من بلاغاتها، وما سمع من الأعراب في بواديها، ومن خطباء الحلل في نواديها، ومن قراضبة (74) نجد في أكلائها ومراتعها، ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجامعها".

وواضح من قوله في خطبته أنه يؤمن بالتطور وجمع اللغة من مختلف مصادرها، بعد خمسة قرون تقريباً من نزول القرآن، ويمكن أن نجمل منهج الزمخشري بالخصائص التالية:

1. الاختيار مما وقع في عبارات المدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين، أو ما جاز وقوعه فيها، وانطواؤه تحتها.
2. التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف، بسوق الكلمات المتناسقة، والاستكثار من كلم النوابغ.
3. تأسيس قوانين فصل الخطاب، والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة، والكناية عن التصريح.

والملاحظ أن الزمخشري يتبنى الإقرار بالتطور الذاتي، ويؤمن ببلوغ الإبداع والابتكار في كل زمان ومكان، وليس ذلك مقصوراً على القدماء السابقين، أو على عصر الاحتجاج، وإنما نراه يحث ويشجع على ذلك، ويشترط لأجل ذلك بعض الشروط التي ذكرناها من قبل، ويمكن لكل من فقه سر العربية أن يتفق على السابقين المتقدمين.

ولابد لنا، بالإضافة لما تقدم، من بحث الآثار اللغوية المتمثلة في الاتساع والشمولية في هذا الدفق اللغوي الجديد بعد اتساع الفتوح شرقاً وغرباً فكثرت المترادفات وفشا اللحن بسبب ترك الإعراب، وأدى ذلك بالتالي إلى فساد اللسان العربي .

اهتم الجاحظ بهذه الظاهرة ولعلها كانت مظهراً من مظاهر الشعوبية اللغوية في عصر، إن صح التعبير. ففي حديثه العابر عن لثغة واصل بن عطاء، ذكر أنه "كان إذا أراد أن يذكر (البر) قال: (القمح)، أو (الحنطة)، والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية"... (76).

واستطرد بعد ذلك، فتحدث عن الفصحى، والجاري في اللغة على أفواه العامة، وذكر أن أهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر (77) وخلص إلى القول متحدثاً عن الفصحى والجاري من اللغة على أفواه العامة (78):

" قد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله، تبارك وتعالى، لم يذكر في القرآن (الجوع) ألا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون (السغب) ويذكرون (الجوع) في حال القدرة والسلامة...".

هذه هي بواكير فساد اللسان العربي، وظواهر اللحن اللغوي، كما لاحظها الجاحظ، وأدى هذا التطور الطارئ: من استخدام العامة الألفاظ في ما وضعت له، وإهمال الإعراب والحركات، إلى فشوّ الخلل اللغوي في اللسان العربي. كما أشار إلى أن هذا التداخل كان قديماً جداً قبل الإسلام، فقال (79): "ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم...". ثم استطرد: "ولو علق لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس، وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط، وأقصى بلاد العرب".

فلا غرابة بعد ذلك كله، إن رأينا تقويم أهل مكة للغة أهل البصرة كما في الخبر الذي رواه الجاحظ في أبي سعيد (80).

"قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر: ليست لكم، معاشر أهل البصرة، لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر: أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم"...

إن لابد لنا من تبيانهما من خلال أقوال الجاحظ: أولهما إشارته إلى اللغة العربية (في قديم الدهر) وصراعها مع اللغات الأخرى، وثانيهما أن كل قبيلة كانت تضع في الحسبان لغة القرآن، وأنها أقرب ما تكون إليه، وأن التقويم اللغوي أصبح يعتمد على الموازين القرآنية، بعداً أو قرباً.

ب. التربية اللغوية

هكذا اهتم الجاحظ بأمر اللحن والفساد، فاتجه إلى بعث الأصالة العربية، وذلك بالاعتماد على التربية اللغوية لأهميتها في تقويم اللسان العربي وصونه من طوارئ الدخيل، فقال (81):

"وكانوا يروون صبيانهم الأرجاز، ويعلمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب، لأن ذلك يفتّق اللهاة، ويفتح الجرم (82)، واللسان إذا أكثرت تقليبه رق ولان، وإذا أطلت إسكانه جسأً (83) وغلظ".

كان الجاحظ يهدف في هذا المنهج اللغوي التربوي تأثيل الأصالة التراثية في النطق العربي، ذلك لأنها ترسخ أدوات اللغة، وتجنب المتحدث أساليب العامة في أخذ الضعيف، وتبنى الدخيل، بالإضافة إلى استساغة اللحن الذي يزيد في طغيان الفساد اللغوي بين الناس.

ومن المؤكد في نظرنا أن الجاحظ قد وضع كتابه الجامع (البيان والتبيين) لكي يكون تثقيفاً للسان العربي، وإبعاده عن عيوب النطق من الحصر والعي وغيرهما، بالإضافة إلى منع تسرب الفساد الطارئ بحكم التفاعلات اللغوية الدخيلة.

ابن خلدون واللسان العربي تطورت اللغة بعد العصور العباسية، واتسع مفهومها، وتعددت علومها، فسماها ابن خلدون (علوم اللسان العربي)، وجعل أركانه أربعة، وهي اللغة والنحو والبيان والأدب، وذكر أن معرفتها ضرورية لكل إنسان ومتأدب دفعاً لفساد اللسان، وهو يرى أن "علم النحو أهم من اللغة" لأنه الوسيلة، وهي الهدف، ومن المهم أن نوضح آراءه لأنها تمثل المرحلة الانتقالية من الأصالة والإعجاز إلى الحداثة والخلل.

وضَّح ابن خلدون أهمية علم النحو، وأبرز مميزاته التي لا نجدها في لغة أخرى، ومما قاله (85):

"إن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلابد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها، إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من ني من المجرور، أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى. وليس يوجد إلا في لغة العرب".

4. موقف الحداثة من الفصحى والعامية

لابد من الإشارة إلى أنه لا انفصام بين القديم والجديد، فالعروة الوثقى تجمعهما، وهذا ما أشار إليه القدماء من النقاد، فقد ذكر ابن حجة (92): "ليعلم من تنزه في هذه الحدائق الزاهرة أن ما ربيع الآخر من ربيع الأول ببعيد، وإذا تحقق أن لكل زمان بديعاً تمتع بلذة الجديد".

لا انفصام إذاً بين شهر وشهر، وعام وعام، وزمن وزمن، فلكل قديم جديد، ولا يتكون الجديد إلا من القديم، وعلى هذا المفهوم نستطيع فهم قول أمين الخولي: "قتل القديم فهماً أول كل جديد".

ومن هذا المنطلق التطوري نستطيع مناقشة مفهوم الحداثة، فهي متجددة في كل عصر بالضرورة الجدلية المسيطرة على كل مظاهر الحياة والفكر الإنساني.

نخلص إلى القول: إن مفهوم الحداثة لا يعني قصداً وبالضرورة الحرب على التراث والثورة على كل تليد، بيد أننا نلاحظ في خضم الحداثة تيارين متعارضين في إطار اللغة:

1. الحداثة الإيجابية، وتتمثل في العربية الفصحى.
2. الحداثة السلبية، وتتمثل في العامية الدارجة.

أما دعاة هؤلاء الشعوبية الجديدة فهم يختلفون بين معتدل ومتطرف، بعضهم من موضع المسؤولية الفكرية، منهم أحمد لطفي السيد، وسعيد عقل، والأب مارون غصن، ويوسف الخال، وشعراء الزجل بشكل عام، وعلى رأسهم ميشال طراد، ومؤيدو الأدب الشعبي، وعلى رأسهم الدكتور عبد الحميد يونس، وعبد الرحمن بشناق.

كما وضحنا أن تيار العامية الذي توضحت بواكيره في مطلع هذا القرن قد عارضه تيار عربي أشد منه وأقوى، وذلك بظهور الأعلام الكبار من المصلحين الذين كانوا ينادون بالإصلاح السياسي والاجتماعي والديني، واقترن الفكر القومي باللغة العربية الفصحى.

من هؤلاء المصلحين الذين جعلوا العربية الدعامة الأساسية لبناء المجتمع العربي والإسلامي، محمد بن عبد الوهاب، وجمال الدين الأفغاني، والسيد أمير علي، وخير الدين باشا التونسي، وعلي باشا المبارك، وعبد الرحمن الكواكبي، والشيخ محمد عبده، وتكلل جهد هؤلاء المصلحين في هذا العصر بظهور كثير من العلماء واللغويين والأدباء الذين تصدوا للشعوبية الجديدة في الطعن على اللغة العربية ونعتها بالجمود، لمناداة بتقبل العامية كظاهرة واقعية موجودة في الحياة الاجتماعية، والمناداة بتقبل العامية ومؤاخاتها لتكون على قدم المساواة مع العربية الفصحى.

تمثل لنا ذلك كله في مصر والشام معاً في وقت واحد ومنطلق واحد، وتكمن وراءه عوامل خارجية لتمزيق الأمة العربية في هذه المرحلة الخطيرة من تطوراتها السياسية والاجتماعية والحضارية.

والملاحظ أن دعاة المؤاخاة اللغوية والازدواجية العامية كانوا من ذوي المكانة الهامة في المؤسسات الثقافية المصرية، نخص بالذكر منهم أحمد لطفي السيد باشا. وكان مديراً للجامعة المصرية، ورئيساً لمجمع اللغة العربية في القاهرة آنئذ.

اعتمد في آرائه على تبني تمصير اللغة العربية، فتصبح مصرية متميزة، وذلك عن طريق تبني العامية المصرية. وصف الرافعي ذلك في مقالة له نشرت سنة 1912 في مجلة (البيان) بعنوان (تمصير اللغة)

" بهذا التمصير ما ذهبت إليه أوهام قوم فضلاء يرون أن تكون هذه اللغة التي استُحفظوا عليها مصرية بعد أن كانت مضرية".

والمعروف أنه كان يقول بالإصلاح بين العامية والفصحى على طريقة تجعل هذه تغتمر تلك، وتحيلها إليها (95)، وكان "يرى أخذ أسماء المستحدثات من اللغة اليومية، وأمرارها على الأوزان العربية بقدر الإمكان، فإن لم يكن لها ثمة أسماء، فمن معاجم اللغة وكتب العلم... فإن لم يصب ذلك في هذه أيضاً، وضع لها الواضع ما شاء".واستطرد فقال:"وأن في استعمال مفردات العامة وتركيبها إحياء للغة الكلام، والباسها لباس الفصاحة، إذ يكون من ذلك رفع هذه اللغة إلى الاستعمال الكتابي، والنزول من اللغة المكتوبة إلى التخاطب والتعامل".

"إذا أردنا الصلح بين اللغتين، فأقرب الطرق لهذا الصلح أن نتذرع إلى إحياء العربية باستعمال العامية، ومتى استعملناها في الكتابة اضطررنا إلى تخليصها من الضعف، وجعلنا العامة يتابعون الكتَّاب في كتاباتهم." إن هذا الصلح المقترح غريب كل الغرابة، فهو ينادي داعياً إلى تبني العامية واستخدامها في الكتابة، وذلك سعياً وراء إحياء العربية بمؤاخاة العامية، وهذا مخالف لأبسط القواعد المنطقية.

عاصر الرافعي هذه الأحداث كلها، ونشر عدة مقالات، منها مقالة في مجلة البيان سنة 1911 بعنوان (الرأي العامي في العربية الفصحى)، ومما قاله في وصف حال اللغة وإهمالها (97): "لقد أهملنا اللغة ثم أهملناها حتى صارت معنا إلى حال من الجفوة جعلتها كالواغلة علينا، والغريبة من نقص فهمنا فيها بحيث نضطر إلى التماس شيء غيرها نفهمه، فصار إصلاح اللغة كأنه دربة لإفسادنا وإفسادها، فيما نتوهم دربة لإصلاحنا".

كان الهدف من ذلك كله تمصير اللغة العربية في أرض الكنانة، وذلك لكي تطبق النظرية العرقية الفرعونية التي ظهرت في مصر، وهي تحت نير الاحتلال، لعزلها عن الأمة العربية.كما تصدى الرافعي أكثر من ة، وفي أكثر من مقالة، يدافع عن العربية إيماناً منه أنها تستهدف الجملة القرآنية، ووقف إلى جانبه الأمير شكيب أرسلان، فنشر مقالة سنة 1025 في مجلة الزهراء بعنوان (ما وراء الأكمة)، وخاطبه في ختام مقالته

"فأما الفئام الأخرى ممن عجز عن الفصيح فأبغضه، وممن يستأنس بالركيك، لأنه هو الشيء الوحيد الذي يقدر عليه، فهذه خطبها يسير، وقلعتها أوهى من أن يحمل...عليها".ثم خلص إلى القول (100): "إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً.. ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس، وردها إليهم، وأوجبها عليهم،... لما تماسكت أجزاء هذه الأمة..".

ولم ينس خلال ذلك أن يندد بهؤلاء الداعين لذلك بقوله (101): "وهم إنما خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، وإنما يؤتون من حساب العربية الفصحى لغة أثرية، لا تمادّ الزمن، ولا تشايع روح التاريخ... وهذا، ولا جرم، ضرب من الجهل العلمي، ولو هم فقهوا سر العربية، ووقفوا على طرق تركيبها، وجاذبوا من أزمَّتها، وصرّفوا من أعنتها واكتنهوا محاسنها الفطرية التي خرجت بها من ثلاثمائة تركيب إلى ثمانين ألف مادة.. لعرفوا كيف يتسببون للإصلاح اللغوي الذي ينشدونه، وكيف يكشفون لفظ الإصلاح عن معنى غير فاسد كما ذهبوا إليه..".

لهر في بلاد الشام المجمع العلمي العربي، وكان الهدف من إنشائه الاهتمام باللغة العربية وبعث تراثها القومي، وذلك منذ الربع الأول من هذا القرن، ولا شك في أن علماء الشام أسهموا بشكل فعال في اليقظة العربية، وإحياء لغة العرب، ولاشك في أن بلاد الشام لم تشهد في هذه المرحلة حرباً لغوية كما حدث في مصر في الفترة نفسها، وربما كان لهؤلاء العلماء أكبر الأثر في تأثيل العربية.

أصدر العلايلي كتابة (مقدمة لدرس لغة العرب) 1938، أي قبل نصف قرن من الزمن تقريباً، وقد أشار فيه إلى أهمية اللغة العربية أصالة ومنهجاً ومستقبلاً، وأنها لغة تطورية، بمعنى أنها ترافق الحياة من ألف ماضيها إلى ياء مستقبلها، وفي قدرتها الاشتقاقية سر من أسرار هذا التطور، وفي تهذيبها المحدث للدكتور أسعد علي اقتراحات لفقه لغة تطوري يجمع أصالة العربية وتفتحات الألسنيات الحديثة، ويمكن الإطلاع

ى خلاصة هذه الآراء في المقدمة وتهذيبها في الفصل الختامي للتهذيب (نقد فقه اللغة) (102). والملاحظ أنه خصص الباب الثاني بكامله للتحدث عن (معقول العرب ومستقبل العربية) (103)، والباب الثالث بعنوان (داء العربية ودواؤها) (104).

وقد أبرز العلايلي الخطر الذي يتهدد مستقبل اللغة، وعد اللغويين مسؤولين عن مستقبل التطور اللغوي، ويقع ذلك على كاهلهم وحدهم، ومما قاله: "ولقد آن أن نأخذ بمذهب الجد، وإلا وضعنا العربية في موضع قلق، لا يتسع لها، ولا تقوم فيه. ونحن إذا كنا نجد من مثقفة الجيل تريثاً وانتظاراً للنتائج التي ضمنتها لهم الجامع، فإن ناشئة الجيل سيلقون بكل ذلك، حيث لا يركنون إليه، ولا يأبهون، وسيقدمون على مقدم خطر جداً، يعرّض العربية للتلاشي السريع، أو للانقلاب المطلق الذي يجعل منها لغتين: لغة القرآن، ولغة تبتدئ في حدود القرن العشرين تتفاوت كلتاهما تفاوتاً ويكون لا أقل في أساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية".

"إن العرب، في ظل الاستعمار لجؤوا لحماية هويتهم وأصالتهم إلى اللغة العربية، أو بالحري إلى اللغة العربية القديمة، ومن هنا نلمس قوة وصلابة قيم ومزايا اللغة العربية التي ناضلت بنجاح، لا ضد غزو اللغات الغربية المسلحة بقدرة عملية على الإيصال، وحسب، وإنما كذلك ضد اللهجات المحلية العامية التي حاولت الاستعمار تغذيتها لزرع الفرقة والتجزئة".

وهكذا يؤكد هذا المستشرق ارتباط الدعوة العامية وتبنيها بالاستعمار الذي يغذيها للنجاح في سياسة التفريق والتجزئة الإقليمة. أما الأستاذ الأرسوزي فقد كانت نكبة اللواء السليب، وضياع الأرض، وكبت اللغة العربية في أرضها العربية الطيبة مصدر ثورته اللغوية والفكرية الكبرى على الطغيان، فلقد كان عتماده أصلاً على فلسفة اللغة وعلاقتها بالمجتمع العربي، ولابد لكل مصلح من الإنطلاق من المفهوم اللغوي أولاً للوصول إلى التحرر الاجتماعي في إطار الصعيد الإنساني.

بحث الدكتور خليل أحمد آراء هذا المفكر اللغوي المصلح، وذكر أنه "مشهور كأحد زعماء الإصلاح الاجتماعي في القرن العشرين، لكنه مغمور كفقيه لغوي.." والمعروف أنه ابتدأ بنشر أبحاثه اللغوية منذ سنة 1938. كما ذكر أنه (106) "ذو مدرسة متميزة في فقه اللغة وقواعدها، يفسر اللغة تفسيراً اجتماعياً، غايته بعث الأمة العربية، وبناء الإنسان فرداً ومجتمعاً".

ج– نتائج البحث

إن اللغة ظاهرة صوتية تختلف اختلافاً كلياً عن سائر الرموز الأخرى غير اللغوية، ومن ثم فإن دراستها دراسة علمية تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميزة تنتج عنها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة. وتجدر الإشارة إلى أن ما نود الحديث عنه في هذا السياق هو القيمة الدلالية للصوت أي الفونيم)، على أساس أن الفونيمات تلعب دوراً فعالاً في تحديد دلالات الكلمات.

والفونيم كما يعرفه بعض اللغويين هوصوت نموذجي يحاول المتكلم تقليده. كما يعرفه بعضهم بأنه أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني. والفونيم نوعان: قطعي Segmental، وفوقطعي Suprasgmental. ويشمل النوع الأول الصوامت والصوائت، وأما النوع الثاني فيشمل النبرات والأنغام والفواصل

ولابد لنا من الوقوف على ما جاء في المحكم من جمع اللغة جمعاً مؤنثاً، وجمعاً ملحقاً بالجمع المذكر السالم، على غير ما هو معروف في شروطه، ولعل اللغويين كانوا يعتقدون أن هذا الحمل مقبولاً، ذلك لأن اللغة خاصة بالعقلاء، وعلى هذا حملت هذا المحمل، لأن الإنسان هو الحي الناطق بين الكائنات جميعاً، وهو وحده المتميز باللغة المنطوقة، ذات المغزى والدلالة. وتطورت لفظة اللغة، واشتُقت منها اشتقاقات مختلفة بحكم طبيعتها التوليدية والحركية والذاتية

المراجع العرابية

"إعجاز القرآن وترجمته" نشرت في مجلة (العربي) العدد 7/ نيسان 1982.

ابن جني"الخصائص البنيوية للفعل والاسم في العربية" نشرت في مجلة (التراث العربي) العدد 8/ تموز 1982.

"اللسان العربي المبين" نشرت في مجلة (التراث العربي) العدد 9/ تشرين الأول 1982.

للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتي "مدخل إلى اللسانيات العامة والعربية" المنشورة في مجلة (الموقف الأدبي) بدمشق – العدد المزدوج 135–136/ تموز وآب 1982.

السيوطي في كتابه "المزهر" الآراء المختلفة لعلماء العربية في هذا الموضوع. ويمكن بهذا العدد الرجوع مثلاً إلى:

مقالة الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي "مذاهب وآراء حول نشوء اللغات" المنشورة في مجلة (التراث العربي) العدد 7/ نيسان 1982. ب)مقالتي "تحديد أصل الكلام الإنساني" المنشورة في (المعرفة) بدمشق – العدد 227/ تشرين الثاني 1981.

"ابن جني والرؤية اللغوية" مقالة منشورة في مجلة (المعرفة) بدمشق – 216/ شباط 1980.

"الخصائص" تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى – بيروت – الطبعة الثانية، جـ 54/1.

"الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني" – مطبعة الجليل – دمشق 1980.

"دلائل الإعجاز في علم المعاني" تحقيق الإمام محمد عبده – الناشر مكتبة القاهرة – 1961/ ص 353.

نشرت في مجلة (اللسان العربي) بالرباط – عدد يناير 1972.

للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتي بعنوان "مراحل نشأة الكلام الإنساني" التي ستنشر في مجلة (المعرفة) بدمشق.

د. زكي نجيب محمود."قصة الحضارة" الجزء الأول من المجلد الأول. ترجمة لجنة النشر والتأليف – الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية – الطبعة الثالثة – القاهرة 1965/ ص 125

د. ميشال سليمان "ضرورة الفن" نقله إلى العربية, – دار الحقيقة – بيروت/ ص 28–29.

للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتي "الخصائص المميزة الأصل الكلام الإنساني" المنشورة في مجلة (المعرفة) بدمشق – العدد 229/ آذار 1981.

د. علي عبد الواحد وافي, للتوسع في الموضوع ارجع إلى كتاب "علم اللغة" – دار نهضة مصر – الطبعة السابعة – فصل (أنواع التعبير الإنساني).

"علم اللغة" للدكتور وافي، فصل (نشأة مراكز اللغة).

بلال الجيوسي لكتاب فيجوتسكي "التفكير واللغة" المنشورة في مجلة (المعرفة) بدمشق – العدد 178/ كانون الأول 1976.

للتوسع في الموضوع ارجع إلى مقالتي "تحديد أصل الكلام الإنساني" المشار إليها أعلاه.

–المنشورة في مجلة (الموقف الأدبي) بدمشق – العدد 122/ حزيران 1981.